

الفصل الرابع :

سماحة الأديان وأداب الحوار مع الآخر

تأليف

أ.د/ سعد الدين مسعد هلاي

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

مراجعة

الشيخ/ خالد عبدالحسن الجندي

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نيافة/ الأنبا إرميا

الأسقف العام رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي

الفصل الرابع

سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم لسماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

أولاً: أهمية الموضوع ودور الدين في بناء الحضارة الرشيدة

إن الاهتمام بقضية "سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر" دليل على سلامة مسار الإنسانية نحو رشدتها المنشود، وهي تعيد صياغة مستقبل الإنسان الحالم بالأمن على حياته في سلام بدون عنف أو إرهاب، والواعد بثراء علمي ومعرفي واسع ومتنوع، بدون أنانية أو احتكار، وإنما بروح الإنسانية الجامعة لأفرادها، والمستثمرة لتنوعهم واختلافهم في إقامة حضارة رشيدة، تتأسس على ما يليق بها في عيشها المشترك المحتوم من سماحة وتراحم ومحبة، وتأخذ بما يعينها في إعمارها، وتبادلها للمعلومات والثقافات والخبرات من تعاون وتفهم، وحوار يجمع ولا يفرق، ويحسن تلقي الدين أو الأديان - بحسب توجيه مصطلحه بالإنفراد أو بالجمع - في منظومة السنة الكونية التي ترى الإنسان مكرماً مسئولاً عن اختياره، وتدبير شئونه، وإقامة حضارته الرشيدة. فالدين الحق لا يعزل صاحبه عن دنياه التي يعيشها بنواميسها الكونية المخلوقة والمعهودة، وإنما يكون هو نداء الحق وصوت الضمير وجرس الإنذار الذي يوقظ صاحبه إن غفل، ويهديه إن ضل، ويهون عليه إن كل، ويأخذ بيده إن كسل، وعليها إن ظلم، ويطيب خاطره إن ابتلي، ويُبشّره - ولا يُخوّفه - إن اجتهد بقلبه السليم ونفسه المطمئنة.

تعددت الكتب المقدسة للأديان، واختلفت في لغاتها التي نزلت عليها، وفي صياغتها المروية بها، وفي صورة شعائرها التعبديّة. ولكنها تتفق - في الجملة - على أن المعبود هو "الله" - جل شأنه - وأنها كتب هادية للتي هي أقوم بجوامع كلمها الذي يليق بالإله الحق الأزلي بكلامه، وجميع صفاته المقدسة، وأن الإنسان هو أكرم الخلق في الأرض، وأنه لا ينفك عن واقعه زماناً ومكاناً ووضعاً، وأنه برشده مسئول عن اختياره وتصرفاته وفهومه؛ فكانت صورة تدينه انعكاساً لفقهه لدينه ومعتقده في ربه، وليست بالضرورة أن تكون هي الصورة المثلى المعصومة، أو أن تكون هي الحق الأوحد؛ فكثيراً ما يتعدد الحق في فهم البشر من جهاتهم المختلفة.

والناس في ربها معذورة بحسن ظنّها فيه، ما لم يكن على حساب إنسان آخر في حرمانه المكفولة لكل أحد. ومن ثم كان الدين لله؛ ليتنافس الناس جميعاً في تقديم الأكمل والأعظم والأجمل والأحسن في

فهمهم لدينهم ومعتقدهم في ربهم؛ كما ورد في القرآن الكريم: { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (سورة الزمر: الآية ١٨)، وأيضاً: { وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } (سورة الزمر: الآية ٥٥). وجاء في الإنجيل المقدس: "طُوبَى لِمَنْ يَحْفَظُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هَذَا الْكِتَابِ" (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح ٢٢: الآية ٧).

ومن المسلمات الفطرية والدينية - التي لا يختلف عليها أحد - أن حل المنازعات بين البشر بالطرق السلمية، وإشاعة السلم أحسن من حلها بالعنف وإشعال الحروب بينهم. كما أن التسامح بين العباد في حقوقهم أحسن من التشاح فيها، وأن الحوار بما يليق وكرامة الإنسان أحسن من الإساءة فيه، وأن قبول التدين من عدمه مرده إلى الله وحده.

كل ذلك يؤكد أن التسامح - كصيغة للتعامل الإنساني في حقوق العباد، والحوار بالأليق والأحسن كأسلوب حياة بين البشر - جزء من رسالة الأديان، ويركن في حضارة الإنسانية الرشيدة. وهذا ما نرجو بيانه في هذا البحث.

ثانياً: خطة البحث ومنهج كتابته

نتناول الحديث عن سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر في ثلاثة مباحث وخاتمة؛ على الوجه الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسماحة، وأهميتها الدينية، والاعتراف العالمي بقيمتها.

المطلب الثاني: التعريف بالدين، وأهميته، ومصادر عقيدته المعرفية.

المطلب الثالث: التعريف بالآداب، وأهميتها، ومصادرها، ومكانتها الدينية.

المطلب الرابع: التعريف بالحوار والجدال، والفرق بينهما، وفوائد الحوار.

المطلب الخامس: التعريف بالآخر، وحتمية بقائه.

المبحث الثاني: سماحة الأديان، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سماحة الأديان في المعاملات.

المطلب الثاني: سماحة الأديان في الاجتماعيات.

المطلب الثالث: سماحة الأديان في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير.

المطلب الرابع: سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة

الوطن.

المبحث الثالث: آداب الحوار مع الآخر، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاعتراف بالأخوة الإنسانية، وحق الاختلاف.

المطلب الثاني: التمسك بثقافة السلام، والعيش المشترك.

المطلب الثالث: الاستفادة من الثقافات، والتبادل الحضاري.

المطلب الرابع: الإصغاء واحترام الحريات العامة.

المطلب الخامس: ضبط النفس، ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب.

المطلب السادس: الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق.

الخاتمة: الشخصية المصرية بين المرض والتعافي في التسامح الديني.

وقد انتقينا العبارة السهلة والبسيطة، والصيغة الواضحة والمباشرة في معناها، والتزمنا منهج التأصيل والاستقراء والتحليل والاستنتاج في مسائل هذا البحث؛ لتعم الفائدة، ويتمكن القارئ من التحصيل، ويأمل في المزيد للرشد الإنساني سماحة وأدباً في الحوار. فما أعظمها قضية بدأت، والقادم فيها على يد الأبناء والأحفاد أعظم بإذن الله تعالى،، والله ولي التوفيق.

القاهرة في ١٩/١١/٢٠٢٢م

المؤلف: أ.د/ سعد الدين مسعد هلالى. المراجعان: نيافة الأنبا إرميا. الشيخ/ خالد الجندي.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات العنوان

حديثاً عن "سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر" يستوجب التعريف بمفردات هذا العنوان، وما يتعلق بها من ضروريات المسائل. وهذا ما سنوجزه في المطالب الخمسة التالية:

المطلب الأول: التعريف بالسماحة وأهميتها الدينية والاعتراف العالمي بقيمتها:

أولاً: تعريف السماحة

(١) السماحة - في لغة العرب - هي السهولة واللين، والمسامحة المباحية، وتسامحوا تساهلوا. وسماحة الأديان أي يسرها أو سهولتها أو أريحيتها على النفس، وكذلك سلامها أو نبلها أو مروعتها مع الآخر.

(٢) السماحة - في تعامل الناس - هي حسن المعاملة باتباع معالي الأخلاق، وترك المشاحة، أو التضييق في المطالبة.

ثانياً: أهمية السماحة الدينية

تدل النصوص الدينية على أهمية السماحة في النجاة يوم القيامة، وتحصيل خب الناس في الدنيا، وفتح أبواب الرزق فيها، والتنزه عن الشح والبخل الهامين للمكارم، والتخلي بأفضل الأعمال. ونبين أدلة ذلك فيما يلي:

(١) رجاء النجاة في الآخرة:

(أ) القرآن الكريم: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } (سورة الفرقان: الآية ٦٣)

(ب) الحديث النبوي: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض، يرحمكم من في السماء" (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو). أيضاً: "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْئٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ" (رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن عبد الله بن مسعود).

(ج) الإنجيل المقدس: "طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ، لِأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ." (إنجيل متى الأصحاح ٥: الآية ٧).

(٢) كسب حب الناس وثقتهم:

(أ) القرآن الكريم: { فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (سورة آل عمران: الآية ١٥٩).

(ب) الحديث النبوي: "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" (أخرجه مسلم عن أبي هريرة). أيضا: "رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس" (أخرجه الطبراني والطيالسي عن علي بن أبي طالب).

(ج) الإنجيل المقدس: "وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضا. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا." (إنجيل يوحنا الأصحاح ١٣: الآية ٣٤).

(٣) فتح أبواب الرزق:

(أ) القرآن الكريم: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (سورة الطلاق: الآيتان ٢-٣).

(ب) الحديث النبوي: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" (أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله).

(ج) الإنجيل المقدس: "أيضا كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقا نخلي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزا." (سفر المزامير ٣٧: ٢٥).

(٤) التنزه عن الشح والبخل الهادمين للمكارم:

الشح أبلغ في المنع من البخل. وقيل: البخل أن يرضن بماله، والشح أن يبخل بماله ومعروفه (معالم السنن للخطابي).

(أ) القرآن الكريم: { وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (سورة الحشر: الآية ٩).

(ب) الحديث النبوي: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق" (أخرجه الترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري). أيضا: "كفى بالمرء من الشح أن يقول: أخذ حقي لا أترك منه شيئا" (أخرجه أبو سعيد ابن الأعرابي في معجمه، والحاكم في مستدركه عن أبي أمامة). أيضا: "إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة ففقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا" (أخرجه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو).

(ج) الإنجيل المقدس: "لَا أَحَدٌ أَفْبَحَ جُرْمًا مِنَ الْبَخِيلِ. لِمَاذَا يَتَكَبَّرُ التَّرَابُّ وَالرَّمَادُ؟" (سفر يشوع بن سيراخ الأوصاح ١٠: الآية ٩).

(٥) التحلي بأفضل الأعمال لكسب النفس واحترامها

(أ) القرآن الكريم: { فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } (سورة الحجر: الآيتان ٨٥-٨٦). أيضاً: { فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (سورة الزخرف: الآية ٨٩).

(ب) الحديث النبوي: قال رجل: يا نبي الله، أي العمل أفضل؟ قال: "الإيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله، قال: أريد أهن من هذا يا رسول الله، قال: السّماحة والصبر، قال: أريد أهن من ذلك يا رسول الله، قال: لا تتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضى لك به" (أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت).

(ج) الإنجيل المقدس: "كُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضِكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس الأوصاح ٤: الآية ٣٢).

ثالثاً: الاعتراف العالمي بقيمة السّماحة:

اتفق العالم على أن تكون له كلمة سواء باسم الأمم المتحدة التي أنشأها سنة ١٩٤٥م، وكان من ثمارها الطيبة اتخاذ يوم ١٦ نوفمبر في كل عام باسم "اليوم الدولي للتسامح" بعد أن دعت إليه الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٦م؛ بهدف ترسيخ قيم وثقافات التسامح، والاحترام والتآخي، ونبذ كل مظاهر التعصب، والكراهية، والتمييز.

وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت أن سنة ١٩٩٥م "سنة الأمم المتحدة للتسامح" بمبادرة من المؤتمر العام لليونسكو، حيث اعتمدت الدول الأعضاء إعلان المبادئ المتعلقة بالتسامح، ويؤكد هذا الإعلان على ما يلي:

(١) التسامح لا يعني التساهل في المبادئ، أو عدم الاكتراث، بل هو احترام وتقدير التنوع الثقافي والإنساني.

(٢) التسامح يعترف بكافة حقوق الإنسان العالمية والحريات الأساسية للآخرين.

(٣) التسامح ليس فقط واجباً أخلاقياً، ولكنه أيضاً شرط سياسي وقانوني للأفراد، والجماعات، والدول.

(٤) إنشاء جائزة لتعزيز روح التسامح واللاعنف في الأنشطة الهامة في المجالات العلمية، والفنية، والثقافية، والتواصلية، وتكافئ الجائزة الأشخاص أو المؤسسات أو المنظمات التي تميزت بقيامها بمبادرات جديرة بالتقدير، وهدفت إلى تعزيز التفاهم، وتسوية المشكلات الدولية أو الوطنية بروح

من التسامح واللاعنف على مدار عدة سنوات، ويتم منح هذه الجائزة كل سنتين خلال احتفال رسمي بمناسبة اليوم الدولي للتسامح في ١٦ نوفمبر.

وقد تقرر حمل تلك الجائزة اسم المانح من دولة الهند، وهو السيد "مادا نجيت سنغ" الذي كان سفير اليونسكو للنوايا الحسنة، وفنانًا وكاتبًا ودبلوماسيًا.

المطلب الثاني: التعريف بالدين وأهميته ومصادر عقيدته المعرفية:

أولاً: التعريف بالدين:

(١) الدين - في لغة العرب - هو اسم لجميع ما يُدِين به، أي يخضع له ويُسلم به. من قولك: دان الله يدين ديناً، أي خضع وسلم. كما يطلق الدين - في اللغة - على عادة الإنسان وسيرته. والدين مصدر يطلق على المفرد والجمع، فإذا جمع على أديان فالمقصود بيان تعدد أنواعه، مثل: البيع والبيع.

(٢) الدين - في استعمال أهل الكتب السماوية أو غيرها - هو الخضوع لشعائرها المعروفة، والتسليم بكتبها المقدسة؛ وفق مقتضياتها الفقهية.

(٣) الدين - في العرف الإنساني؛ بما للإنسان من حرية الاعتقاد - هو ما اعتقده الإنسان مقدساً يخضع له ويسلم به؛ تعبدًا وتقربًا إلى المعبود في قلبه.

(٤) الدين - في لفظ القرآن الكريم - هو الإسلام { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } (سورة آل عمران: الآية ١٩)، وهذا الإسلام لكل أحد "أسلم وجهه لله وهو محسن" في شأنه كله بإخلاص نفسه وسلامة قلبه { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة البقرة: الآية ١١٢). { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } (سورة النساء: ١٢٥). { وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (سورة لقمان: الآية ٢٢).

ويلاحظ أن تعريف الدين بالخضوع والتسليم في لغة العرب أو عند أهل الكتب المقدسة أو عند الإنسان يجعله متعددًا بتعدد أهل الكتب أو أهل التدين { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } (سورة الكافرون: الآية ٦).

أما تعريف الدين بأنه "تسليم الوجه لله وهو محسن" فيجعله واحداً عند الله، وعند الناس أجمعين. وبيان ذلك عند الله هو قوله سبحانه: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (سورة آل عمران: الآية ٨٥) بالتعريف المذكور، وهو الذي يتفق في معناه مع الحديث النبوي الشريف: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمايهم وأموالهم". (أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة وعن فضالة بن عبيد). وأما بيانه عند الناس فإنهم سيجتمعون في التحاكم إلى معيار واحد يتساوون فيه جميعاً، وهو "إسلام كل أحد من المكلفين وجهه لله فيما يعتقد، وهو محسن". وهذا هو الإسلام الجامع للإنسانية فيما يمكن تسميته بالعدالة الدينية لكل مكلف يحتكم في معتقده الديني إلى اختياره وعلى مسئوليته الذاتية بمعيار مكفول لكل أحد وهو "طمأنينة النفس وسلامة القلب فيما بين المخلوق وخالقه"، وإن ترتب على تلك العدالة الدينية اختلاف الناس في معتقداتهم في ربهم؛ إذ إن مردها جميعاً إلى الله المعبود، كما قال سبحانه: { وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } (سورة البقرة: الآية ١٤٨)، وأيضاً: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا' وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهَ تَخْتَلِفُونَ } (سورة المائدة: الآية ٤٨)، وأيضاً: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (سورة الحج: الآية ١٧).

وبهذا يتحقق تفويض أمر الدين لله كما أمر في قوله: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ } (سورة الأنفال: ٣٩)، وتحدد وظيفة علماء الدين في البلاغ والبيان والنصح والتذكير مع ترك الناس وشأنهم في ربهم؛ كما هي مهمة الرسل الكرام دون أذوية: "حماة الدين وحراس العقيدة ومعبدي الناس لرب العالمين"، التي يفضحها قول الله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } (سورة الأنعام: الآية ١٠٧)، وقوله: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغَ } (سورة الشورى: الآية ٤٨)، وقوله: { فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } (سورة الغاشية: الآيتان ٢١، ٢٢).

ويدل على تحقق إسلام الوجه لله بالمعيار المكفول لكل أحد، وهو "سلامة القلب وطمأنينة النفس" - فيما يعتقد في الله - قوله تعالى عن دعاء أبينا إبراهيم الخليل صاحب تسمية المسلمين من قبل: { وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ ءَاتَى اللَّهَ يَلْبَسْ سَلِيمٌ } (سورة الشعراء: الآيتان ٨٧-٨٩)، وقوله سبحانه: { يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } (سورة الفجر: ٢٧-٣٠).

وبهذا التوجيه يمكن استيعاب وصف جميع الأديان السماوية بالإسلام؛ كما أخبرنا القرآن الكريم عن نوح - عليه السلام - { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (سورة يونس: الآية ٧٢)، وعن إسلام ملة إبراهيم التي أمر الله رسوله الخاتم أن يتبعها: { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (سورة النحل: ١٢٣)، فقال عن ذرية إبراهيم: { وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (سورة البقرة: الآيتان ١٣٠-١٣٣)، وفي دعاء يوسف الصديق: { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (سورة يوسف: الآية ١٠١).

ثانياً: أهمية الدين:

ترجع أهمية الدين إلى حاجة الإنسان إلى إشباع روحه وملئ فراغ قلبه؛ فيما يعرفه بخالقه الذي لا تدركه الأبصار - وما يترتب على تلك المعرفة من حقوق وواجبات تعديده - وفيما يعرفه بمصير البشر بعد الموت، وملاحظتهم لإقامة العدل عليهم؛ إذ فيهم الصالح والطالح، والمظلوم والظالم.

وكل ذلك لا يعرف من علوم الطبيعة، وإنما يروى - فقط - عن طريق الوحي المنزل على الرسل والأنبياء الكرام. وبحسب ثقة الإنسان في الروايات التي تأتيه عنهم، وطمأنينة قلبه لإحدى دلالاتها التي لا تؤذي أحداً، فإنه يتخذها ديناً؛ فيشبع روحه، ويملاً فراغ قلبه.

ثالثاً: المصادر المعرفية للعقيدة الدينية

العقيدة اسم مصدر من عقد يعقد عقداً، فهي عقيدة. والعقد هو الربط والإبرام والإحكام والشد بقوة. والعقيدة في الاستعمال الشائع هي ما اعتقده صاحبها، وهذا الاعتقاد ينتج عن مصادر معرفية، وهي في الإجمال ما يلي:

- (١) الكتب السماوية المقدسة.
- (٢) المرويات لسنن الأنبياء والمرسلين ومأثوراتهم.
- (٣) الشروح والتفسيرات والاجتهادات في الكتب المقدسة والمرويات والمأثورات.
- (٤) العلم اللدني أو الباطني الذي لا يقوم على الحواس الظاهرة، وإنما بالفتوح الذي ينسبه صاحبه إلى الله تعالى، أو إلى الفراسة، أو إلى الرؤية المنامية.

المطلب الثالث: التعريف بالآداب وأهميتها ومصادرها ومكانتها الدينية:

أولاً: تعريف الآداب:

(١) الآداب - في لغة العرب - جمع الأدب، وهو حسن الأخلاق، وفعل المكارم. وأصل الأدب

الدعاء، ومنه قيل للطعام يدعى إليه الناس مأدبة - بضم الدال وفتحها - ومدعاة.

(٢) الأدب - في الاصطلاح الاجتماعي - له إطلاقان عام وخاص:

أما الإطلاق العام للأدب - الذي يراد عند الذكر - فهو اتخاذ حسن الأخلاق، وفعل المكارم منهج

تعامل مع الناس كافة.

وأما الإطلاق الخاص للأدب فهو العلم المعروف باسمه، وهذا العلم - كما يقول ابن خلدون - لا

موضوع له. وقد تطور هذا العلم حتى صار علماً على كل ما ينتجه العقل الإنساني، ويؤثر على تفكيره

من ضروب المعرفة.

ثانياً: أهمية الآداب:

(١) احترام الإنسان لنفسه وتكريمها بحسن خلقه.

(٢) تقليل الخلافات والنزاعات برياضة ضبط النفس.

(٣) التعايش السلمي والقبول العام.

(٤) تذويب التعصب الطائفي والمذهبي.

(٥) الارتقاء بالأخلاق العامة إلى محاسنها ومكارمها.

ثالثاً: مصادر الآداب:

(١) الفطرة الكونية التي جبل الإنسان عليها بأصل تكريمه الخلقى؛ حباً للرفق وكرهية للعنف.

(٢) العرف الاجتماعي الذي ينشأ بالتراكم المعيشي بحكم التدافع الإنساني.

(٣) الدين برسالاته التي تقوم على التقوى باتباع الأصول المرعية في حقوق الله، والنفس، والناس،

والبيئة.

رابعاً: المكانة الدينية للآداب:

إذا كان الأدب هو حسن الخلق وفعل المكارم فإن الدين أدب كله. قال ابن القيم (١٢٩٢-

١٣٥٠م): "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين". وإذا كان الدين كله أدباً، فإن

الأنبياء والرسل مثل عليا للأدب يقتدى بهم؛ كما يقتدي باللاحق منهم سابقهم { **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** **فِيهِدْتُهُمْ أَقْتَدَهُ** } (سورة الأنعام: الآية ٩٠)، وقد قدموا للإنسانية بأخلاقهم العليا ما يهتدي به ذوا الهمم من محبي الكمال البشري. ونوضح بعضاً من كريم صفاتهم الأخلاقية في حق إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

(١) أخلاق "إبراهيم" الخليل: منها ما ورد في القرآن الكريم: { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** } (سورة هود: الآية ٧٥)، وأيضاً: { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا** } (سورة النحل: الآية ١٢٠)، وأيضاً: { **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** } (سورة الأنبياء: الآية ٥١). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: "إبراهيم كان أباً عظيماً لأمم كثيرة، ولم يوجد نظيره في المجد. وقد حفظ شريعة العلي فعااهده عهداً" (سفر يشوع بن سيراخ الأصحاح ٤٤: الآية ٢٠).

(٢) أخلاق "موسى" الكليم: منها ما ورد في القرآن الكريم: { **وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** } (سورة مريم: ٥١)، وأيضاً: { **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** } (سورة طه: الآية ٣٩)، وأيضاً: { **وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً** } (الأحقاف: ١٢). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: "وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض." (سفر العدد الأصحاح ١٢: الآية ٣). (٣) أخلاق "عيسى" كلمة الله وروح منه: منها ما ورد في القرآن الكريم: { **وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** } (سورة آل عمران: الآية ٤٥)، وأيضاً: { **وَعَلَّمْنَاهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ** } (سورة آل عمران: الآية ٤٨)، وأيضاً: { **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا** } (سورة مريم: الآية ٣٢). ومنها ما ورد في الكتاب المقدس: عن السيد المسيح: "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قسبة مرضوضة لا يقصيف، وقتيلة مدخنة لا يطفي، حتى يخرج الحق إلى النصرة." (إنجيل متى الأصحاح ١٢: الآيات ١٩، ٢٠).

(٤) أخلاق "محمد" خاتم النبيين: منها ما ورد في القرآن الكريم: { **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } (سورة القلم: الآية ٤)، وأيضاً: { **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ** } (سورة التوبة: ١٢٨)، وأيضاً: { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** } (سورة الأنبياء: الآية ١٠٧). ومنها ما ورد في الأحاديث النبوية: "إنما بعثت لأتكم مكارم الأخلاق" (أخرجه البزار والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة)، وأيضاً: "أهبي ربي فأحسن تأديبي" (أخرجه العسكري في الأمثال، وابن السمعاني في أدب الإملاء عن عبد الله بن مسعود).

المطلب الرابع: التعريف بالحوار والجدال، والفرق بينهما، وفوائد الحوار:**أولاً: التعريف بالحوار:**

الحوار - بكسر الحاء - في لغة العرب اسم من المحاوره. والمحاوره هي المجاورة، ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وتجاوزوا أي تراجعوا الكلام بينهم. وأصل الكلمة: حار يحور حوراً ومحاراً، أي رجع إلى الشيء أو عنه، وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار. أما الحُوار - بضم الحاء وقد تكسر - فهو ولد الناقة ساعة تضعه أمه، أو من حين يوضع إلى أن يفطم، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل. والجمع أحورة وحيران.

ثانياً: التعريف بالجدال:

الجدال في لغة العرب اسم من المجادلة، والمجادلة هي المخاصمة، وأصله من جدلتُ الحبل إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. تقول: جادله يجادله مجادلة وجدالاً فهو جدل ومجدال ومجادل.

ثالثاً: الفرق بين الحوار وبين الجدال:

الحوار هو المراجعة في الكلام لبيان الحجة والوصول إلى نتيجة تظهرها الحجج المتبادلة. أما الجدال فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، فالمجادل متمسك بمنطقه، ويجتهد في إبطال المنطق المخالف.

رابعاً: فوائد الحوار:

- (١) تبادل الأفكار وتفاعل الخبرات.
- (٢) تنمية التفكير وتنشيط الذهن.
- (٣) توليد أفكار جديدة.
- (٤) التخلص من الأفكار الخاطئة أو المغلوطة.
- (٥) المساعدة للوصول إلى الحقيقة.
- (٦) تقارب الثقافات.

المطلب الخامس: التعريف بالآخر وحتمية بقائه:

أولاً: التعريف بالآخر:

(١) الآخر - في لغة العرب - هو الغير، كقولك رجل آخر وثوب آخر. وأصل الآخر أآخر على وزن أفعل من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلتا فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها، وانفتاح الأولى قبلها. وتصغير آخر أو يخر.

(٢) الآخر - عند الفلاسفة الوجوديين - يتفق مع التعريف اللغوي فهو ما يقوم على حقيقة الاختلاف بين "الأنا" و"الأنت" بوصفها جزءاً تأسيسياً للوعي الذاتي.

(٣) الآخر - في الثقافة العنصرية التي تستخدم الدين لمصالحها السياسية - هو الإنسان غير المنتمي للجماعة المحكرة للفرقة الناجية في الآخرة داخل اسم الدين العام في الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو غيرها. ويتخذ هذا الفكر العنصري لنفسه اسماً خاصاً - سواء في تنظيمه الممنهج، أو في تياره المرتب، أو في مذهبه المصنوع، أو في طائفته المدعومة - ليكون رأس حربة في مواجهة الآخر، وتحقيق مصالحه ومكاسبه السياسية.

ولا يخفى ما في هذا الفكر المتطرف باحتكاره الحقيقة الغيبية المطلقة من افتئات على الله، واستعلاء على الآخر، وإثارة للعنصرية أو العصبية المقيتة التي لا تنتج غير الكراهية والصراعات الدائمة التي لا تليق باسم "دين الله"، والمشغلة للإنسان عن تمتعه الروحي في مناجاة ربه، وعن مسؤوليته الإيمانية والتموية الفطرية.

وقد بدأ هذا الفكر العنصري يغزو بعض أهل الأديان السماوية عندما أخفى المغرضون حقيقة كتبها المقدسة التي نزلت يصدق اللاحق منها السابق، وبوصفها جميعاً "هدى ونور" ذات دلالات متعددة بجوامع كلمها؛ ليتنافس الناس في تدينهم أفراداً مع الله - وليس في منظومة سياسية مع أنفسهم إلا من خلال توافقهم الإنساني بالقانون الذي يتوافقون عليه - فشاغبوا بوصف الكتب المقدسة ظلماً بالدستور والقانون، واستعاروا إحدى دلالات ألفاظها لصناعة "منظومة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية" تقوم على تجنيد أتباعها ضد الآخر، ونسبوا تلك المنظومة - صنعة أياديهم - إلى الله سبحانه؛ لتغني عن كتبه الهادية للتي هي أقوم، وهذا هو ما يعرف بتسييس الدين.

ولا أمان للإنسانية إلا بعودة الجميع إلى تفويض الدين لله، ومنع تسييسه في منظومة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية منعزلة غير مندمجة شعبياً؛ ليبقى الدين على براءته في علاقة شديدة الخصوصية بين الإنسان وبين ربه، ويسترد المؤمنون رشدهم الديني المختطف بعد تصحيح مسيرة الخطاب الديني من الوصاية أو الإدارة إلى التفقيه أو التعليم، ومن التحشيد والتجنيد إلى التوعية والتمكين من الرشد الذاتي؛

فيحيا الشعب سيِّداً في الوطن السيد - كما نص على ذلك دستوره في ٢٠١٤م - وكما أن سيادة الوطن في وحدته وسلامته وقوته؛ فكذلك سيادة شعبه في وحدة نسيجه وسلامة أمنه وقوة روابطه بالتعاون والتكريم والتراحم والمحبة دون تمييز بجنس أو دين.

ثانياً: حتمية بقاء الآخر:

كل شيء في الحياة يؤكد التنوع والاختلاف بين البشر مع انتمائهم جميعاً لأصل واحد وفطرة إنسانية واحدة؛ فلا ترى إنساناً يشبه الآخر، ومع ذلك فإن الإنسان يميل إلى استنساخ صورته وذاتيته في غيره التابعين، أو من غيره المتبوعين؛ خاصة في الدين.

وهيهات هذا التمني المخالف لناموس الخلق الحاكم بأن لكل إنسان بصمته الدينية الخاصة، والحق في منافسة أئمة على أعلى درجات إخلاص النية وسلامة القلب وبراءة الذمة وطهارة اللسان وأداء الأمانات التي يلقي بها ربه. فلا يسع أحد منصف عاقل إلا أن يعترف بوجود الآخر وبقائه، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (سورة هود: الآيتان ١١٨-١١٩)، وأيضاً: { وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ } (سورة الروم: الآية ٢٢). كما ورد في الكتاب المقدس: "إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَيَحْدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا لَيْسَ بَعِيدًا." (سفر أعمال الرسل الأصحاح ١٧: الآيات ٢٥-٢٧).

المبحث الثاني

سماحة الأديان

المقصود بسماحة الأديان يسرها وسهولتها على النفوس، وسلامها وإعذارها للآخر. ومن أجل تعزيز قيمة السماحة فقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٦م عقد احتفالية سنوية يوم ١٦ نوفمبر من كل عام باسم "اليوم الدولي للتسامح".

ونبين في هذا المبحث سماحة الأديان في مسائل المعاملات، والاجتماعيات، والانتماء المانع من العنف والإرهاب، والمقاصد الهادفة إلى حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن. وسوف نوضح في كل مسألة من تلك المسائل الأربع المقصود منها، ودليلها العقلي، ودليلها النصي، وصورها، وثمارها؛ وذلك في المطالب الأربعة التالية.

المطلب الأول: سماحة الأديان في المعاملات:

أولاً: المقصود بسماحة الأديان في المعاملات: أمران:

الأمر الأول: تيسير الانفتاح على الآخر في إبرام العقود وفق المصالح المشتركة بين المتعاملين دون الافتئات بالعصية الجاهلية، وذلك في ظل منظومة النظام العام للدولة وأمنها القومي.
الأمر الثاني: تبسيط الإجراءات والضوابط الفقهية الدينية على الناس في إبرام عقودهم، مع تعظيم مبدأ التراضي في لزومها.

ثانياً: الدليل العقلي على سماحة الأديان في المعاملات: وجهان:

الوجه الأول: أن عقود المعاملات لو كانت منغلقة في الدين على أتباعه من غير انفتاح على الآخر بشكل "ما" لضافت حياتهم، وتوقفت مصالحهم، مما يجعل الدين عبئاً على أهله، وهذا لا يليق بمقام الدين.

الوجه الثاني: أن تعقيد إجراءات العقود وضوابطها الكثيرة لا يستقيم مع فقه الدين الذي يقوم أصالة على اليسر ورفع الحرج بإيجاد المخارج والحلول للضوائق. كما أن إهمال مبدأ التراضي في العقود يجعلها عقود إذعان، ويدفع الناس إلى الإعراض عنها أو التحايل عليها رغبة في اليسر الذي جبلوا عليه، ولا تستقيم الحياة إلا به.

ثالثاً: الدليل النصي على سماحة الأديان في المعاملات: متعدد، ومنه:

(أ) القرآن الكريم: { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } (سورة المائدة: الآية ١)، وأيضاً: { وَأَوْفُوا

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } (سورة الإسراء: الآية ٣٤)، وأيضاً: { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ } (سورة النساء: الآية ٢٩).

(ب) الحديث النبوي: "المسلمون عند شروطهم" (أخرجه البخاري تعليقا، والحاكم عن عائشة وعن أنس)، وأيضا: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك" (أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وعن ماhek المكي).

(ج) الإنجيل المقدس: "فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ». وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيُّضًا قَائِلِينَ: «وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَظْلِمُوا أَحَدًا، وَلَا تَتَّشُوا بِأَحَدٍ، وَآكْتَفُوا بِعَلَانَتِكُمْ»." (إنجيل لوقا الأصحاح ٣: الآيات ١٢، ١٣).

(د) التوراة المقدسة: "وَيْلٌ لِّمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ بِغَيْرِ عَدْلِ وَعَلَائِيهِ بِغَيْرِ حَقِّ، الَّذِي يَسْتَخْدِمُ صَاحِبَهُ مَجَانًّا وَلَا يُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ" (سفر إرميا الأصحاح ٢٢: الآية ١٣).

رابعاً: صور سماحة الأديان في المعاملات: كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في المعاملات: مثل بساطة عقود المعاملات في كل دين، وعدم تعقيد ضوابطها، وفتح أبواب الفقه لاستحداث عقود ومعاملات تليق بأدوات وحضارة كل عصر ومصر.

(ب) السماحة التبادلية في المعاملات: مثل إجارة - أي حماية - السيدة زينب بنت الرسول الكريم لأبي العاص وهو على دينه، وإجارة أم هانئ بنت أبي طالب لحماها "جعد بن هبيرة" وهو على دينه، وصفح الرسول الكريم عن قريش التي أخرجته وأصحابه مهاجرين إلى المدينة بعد تمكنه منهم بقوله "أذهبوا فأنتم الطلقاء"، وشراء الرسول الكريم طعاماً لأهل بيته من تاجر يهودي بالثمن الآجل ورهنه درعه. وهذه بدايات سماحة المسلمين في تعاملهم مع الآخر - وإذا تجاوزنا نقائص أهل العصبيّة الدينية - فإننا نجد اليوم تلك السماحة لملايين غير المسلمين الذين يعيشون في سلام ورفاه بالدول العربية ووسط آسيا التي يستوطنها في الأغلب مسلمون.

وعلى الجانب المقابل وجدنا إجارة أبي طالب، وهو على دين آبائه للرسول الكريم في مكة، وإجارة المطعم بن عدي، وهو على دينه للرسول الكريم بتمكينه من الطعام في المقاطعة الاقتصادية، وتأمينه في دخول مكة بعد منعه منها عندما ذهب إلى الطائف، وإجارة النجاشي وكان على دينه للمسلمين الذين هاجروا إليه في أوائل البعثة النبوية، وتعاهد يهود يثرب مع الرسول الكريم والأنصار على الأمن والعيش في سلام المدينة المنورة. ومثل ذلك وجدناه في ترحيب أقباط مصر بالمسلمين من يوم دخولهم

فيها سنة ٦٤٢م حتى الآن. وإذا كانت هذه بدايات سماحة غير المسلمين - إذا تجاوزنا نقائص أهل العصبية الدينية - فإننا نجد اليوم تلك السماحة لملايين المسلمين الذين يعيشون في سلام ورفاه بدول الشرق والغرب التي يستوطنها في الأغلب غير مسلمين بالدين الخاتم.

خامساً: ثمار سماحة الأديان في المعاملات كثيرة، ومنها:

سعة الرزق لاتساع المعاملات، وسرعة الإعمار وإنجاز المشروعات، وتقدم الطب والتعليم والخدمات بفضل التعاون الفني والمهني الذي لا يفرق بين الناس بالدين. هذا بالإضافة إلى السلام الاجتماعي ووحدة الشعب الذي يعود على الدولة بالقوة في مواجهة تحدياتها.

المطلب الثاني: سماحة الأديان في الاجتماعيات:

أولاً: المقصود بسماحة الأديان في الاجتماعيات: أمران:

الأمر الأول: البر والإحسان إلى الآخر في اجتماعياته كحسن الجوار، وقبول دعوته، وتهنئته في مناسباته الكريمة، وعبادته في مرضه، وتشجيع جنازته، وغير ذلك من الاجتماعيات الإنسانية.

الأمر الثاني: الترغيب في الاجتماعيات الإنسانية بالندب إليها والمثوبة عليها، وتقديمها على السنن التعبدية الخالصة.

ثانياً: الدليل العقلي على سماحة الأديان في الاجتماعيات: وجهان:

الوجه الأول: أنه لو انقطع البر والإحسان إلى الآخر في اجتماعياته فسيكون ذلك داعية لكرهية الدين الأمر بالطبيعة، وهذا نوع من الانتحار الذاتي للدين.

الوجه الثاني: أن الدين إذا لم يرغب في الاجتماعيات الإنسانية، ويقدمها على السنن التعبدية الخالصة فسوف يتكاسل الناس عن اجتماعياتهم؛ خاصة وأنها مكلفة ماليًا، والاستثمار فيها غير مباشر، مما ينشر القطيعة بين الناس، وهذا مخالف لمقاصد الدين

ثالثاً: الدليل النصي على سماحة الأديان في الاجتماعيات: متعدد، ومنه:

(أ) القرآن الكريم: { لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (سورة الممتحنة: الآية ٨)، وأيضاً: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَجَاحٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } (سورة النساء: الآية ٨٦).

(ب) الحديث النبوي: "ما زال يُوصيني جبريلُ بالجارِ، حتَّى ظننتُ أَنه سيورثهُ" (أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر)، أيضاً: أن رجلاً سأل الرسولَ الكريم: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفتَ ومن لم تعرف" (رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو)، وأيضاً: قول البراء بن عازب: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: "أَمَرَنَا بِعِبَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي" (أخرجه البخاري).

(ج) الإنجيل المقدس: "إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ." (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الأصحاح ١٢: الآية ١٨).

(د) التوراة المقدسة: "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمْ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَتَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (سفر اللاويين الأصحاح ١٩: الآية ٣٤).

رابعاً: صور سماحة الأديان في الاجتماعيات: كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في الاجتماعيات: مثل ترغيب الأديان وإثابتها على الجماعة في الصلاة، وكل أبواب الخير والمعروف، ودعوتها إلى التزير اللائق بالزمان والمكان.

(ب) السماحة التبادلية في الاجتماعيات: مثل قيام الرسول الكريم لجنابة يهودي، وقال لمن استغرب ذلك "أليست نفساً"، وعيادته للغلام اليهودي الذي كان يخدمه، وأمره لعلي بن أبي طالب أن يقوم على جنازة أبيه غير المسلم، وأمره أسماء بنت أبي بكر أن تصل أمها غير المسلمة، كما كان النبي الكريم يسمح للمسلمين في المدينة أن يخالطوا غيرهم من أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان بصفقتهم جميعاً أبناء وطن واحد. وغير ذلك كثير يجعله أصلاً لبناء حضارة التسامح الأكثر توسعاً وانتشاراً في الاجتماعيات مع الآخر؛ حتى إننا اليوم نرى هذه اللحمة الاجتماعية بين أبناء الوطن ذات الأغلبية المسلمة إذا تجاوزنا نقائص شرذمة المتعصبين.

وعلى الجانب المقابل نجد إهداء المقوقس "حاكم الأسكندرية البيزنطي" للرسول الخاتم الكريم مكحلة عيدان شامية ومرآة ومشطاً وقدحاً كان يشرب فيه، وإهداء "حاكم مصر" للرسول الخاتم الكريم بغلة كان يركبها وجاريتين أختين (مارية وسيرين) فتزوج مارية فولدت له إبراهيم، وتزوج الأخرى حسان بن ثابت، وكل ذلك وغيره كثير يدل على بداية سماحة غير المسلمين بالمسلمين إنسانياً، والتي تطورت بتطور الحضارة الإنسانية كما نشاهدتها في مصرنا الرائدة، وفي أكثر بلاد الدنيا إذا تجاوزنا نقائص شرذمة المتعصبين.

خامساً: ثمار سماحة الأديان في الاجتماعيات: كثيرة، ومنها:

إعلاء القيمة الإنسانية الجامعة التي لا يختلف على تقديمها فوق كل القيم الطائفية أحد، كما تفتح الطريق أمام التعارف الإنساني، وتقوي الروابط الشعبية فيعم السلام الاجتماعي، وتقوى الدولة أمام تحدياتها.

المطلب الثالث: سماحة الأديان في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير:

تمهيد: الفرق بين العنف وبين الإرهاب في الاستخدام السياسي هو أن: العنف تعبير عن الشدة أو القسوة التي تستهدف النفس أو الآخر قصداً لذاته. أما الإرهاب فهو إحداث القتل أو الأذى أو التدمير أو التخريب في المجتمع بغير قصد أحد بعينه إلا أن يكون وسيلة ضغط بالتخويف والتهديد ضد الإدارة الحاكمة؛ لتحقيق مكاسب سياسية.

وهذه التفرقة الاصطلاحية السياسية بين العنف وبين الإرهاب لا تخرج في الجملة عن المعاني اللغوية العربية. فالعنف - في اللغة - يطلق على الشدة والقسوة، أما الإرهاب فيطلق على التخويف والتهديد.

والتكفير - في اللغة - هو التستير والتغطية، من كَفَرَ الشيء أو عليه - أي ستره وغطاه - يُكْفَرُ تكفيراً. وكَفَرَ بمعنى ستر أو جحد أو أنكر أو أخفى. والكُفْر - نقيض الإيمان - هو الستر أو الجحد أو الإنكار أو الإخفاء.

والتكفير - في الخطاب الديني الشائع - له إطلاقان:

(١) ستر الذنب - أو التقصير - وتغطيته بالتعويض عنه صوماً أو صدقة، فيما يعرف بالكفارات.

(٢) الحكم بجحد الآخر أو إنكاره لدين القائم بالتكفير كلياً أو جزئياً.

والمقصود هنا هو التكفير الديني الذي يكون سبباً في جلب العداوة ونشر الكراهية التي لا تتفق مع سماحة الأديان، وإقرارها بحتمية التعايش المشترك لأبناء الشعوب الإنسانية.

والذي يجب التنبيه إليه هو - ما تقرره اللغة العربية ونصوص الآيات القرآنية - أن الكُفْر لا يكون إلا بعد ثبوت الحقيقة في قلب صاحبها ويقينه ثم يجحدها وينكرها ظلماً من نفسه بغير عذر؛ كما قال تعالى: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (سورة البقرة: الآية ٢٥٤). فإذا لم تستقر تلك الحقيقة في قلبه كان معذوراً في إنكارها، وله حكم أهل الفترة الذين لم تبلغهم الحقيقة؛ لمنع الإكراه في الدين.

ومن هنا كان الحق في تفويض حكم التكفير إلى الله علماً الغيوب؛ قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} (سورة البقرة: الآية ٨٩)، وقال سبحانه عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} (سورة النمل: الآية ١٤)، وقال تعالى عن الذين آتاهم الكتاب في مراده سبحانه: {يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ حَسَبُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (سورة الأنعام: الآية ٢٠).

أما الإيمان فيثبت حقيقة بعد العلم واليقين القلبي، ويثبت حكماً بالاتباع أو التقليد عند جمهور الفقهاء؛ لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} (سورة الطور: الآية ٢١).

ومن هنا يظهر التوسع في حكم الإيمان، والتصديق في حكم التكفير؛ لمنع الاستعداد الديني، ولتشر التسامح بين الناس. فلا يحكم بالتكفير لمجرد المخالفة لصورة الاعتقاد أو الشعائر الدينية؛ حتى لا يعود التكفير على الجميع. فمن تراه في دينه كافراً له الحق أن يراك كذلك، مع أن كل أحد من الطرفين يرى نفسه مؤمناً بعقيدته ومناسكه، وسيلقى الله - عز وجل - برويته الدينية لنفسه وليس بحكم الآخرين عليه في دينه؛ كما قال تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} (سورة النحل: الآية ١١١)، وأيضاً: {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (سورة الإسراء: الآية ١٤)، وأيضاً: {يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} (سورة الانفطار: الآية ١٩)؛ ومن هنا لم يكن تبادل التكفير إلا مجلبة للفتن والشور.

إن الصورة الوحيدة التي يضطر فيها لحكم التكفير هي للمعتدي في جرائم الاضطهاد الديني، التي تكون بإنكار دين الآخر وجود حقه فيه وملاحقته بالعدوان بغير ذنب أو جريرة إلا حبسه لنفسه على تدين لا يضر أحداً من الخلق بما يمنحه حق الدفاع عن النفس. وهذا هو الحق الظاهر المكفول لكل أحد دون التمييز بالدين

أولاً: المقصود بسماحة الأديان في الانتماء: أمران:

الأمر الأول: السماحة بين الأديان. بمعنى أن يكون الانتماء أو الانتساب لأحدها داعية لنشر السلام والتسامح مع الغير وتفويض أمر دينه لله، كما يكون مانعاً من ممارسة العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر.

الأمر الثاني: السماحة في الأديان. بمعنى أن تكون داخلية الدين أو حقيقته سمحة، ويكون الانتماء له بسبب سماحة الذاتية التي تشعب الروح، وتطمئن القلب، وترفع الحرج عن المتدين، فيكون

الانتماء للدين داعية للأخذ بالأيسر، وتاركاً للتشدد، ومانعاً من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر.

ثانياً: **الدليل العقلي على سماحة الأديان في الانتماء:** وجهان:

الوجه الأول: أنه لو لم يكن الانتماء للأديان داعية للتسامح تجاه العامة - ومانعاً من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر - فإنه سيكون استعلاءً على الغير، واستعداءً له، وجالباً لصاحبه الكراهية أو العزلة بما يخالف فطرة التعارف الإنسانية وتكارمها؛ مما يلزم محبو الانتماء لأديانهم أن يتعاهدوا أو أن يتعاقدوا على منع العنف والإرهاب والتكفير فيما بينهم.

الوجه الثاني: أنه لو لم يكن الانتماء للأديان بسبب سماحتها الذاتية الأصيلة - المحببة للأيسر، والممانعة من العنف والإرهاب والتكفير بغير حق ظاهر - فسيعزف أكثر الناس عنها وإن بقوا على اسمها شكلاً؛ لما جبلوا عليه - بالفطرة السوية - من كراهية التشديد والتعسير وإثارة النزاعات، ورفض العنف والإرهاب والتكفير؛ مما يلزم أهل الأديان التافس في إظهار أوجه سماحة انتمائهم لها؛ حتى يقبل الناس عليها.

ثالثاً: **الدليل النصي على سماحة الأديان في الانتماء:** متعدد، ومنه:

(أ) القرآن الكريم: { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } (سورة الحج: الآية ٧٨)، وأيضاً: { إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة البقرة: الآية ٦٢)، وأيضاً: { يُخَفِّفْ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } (سورة النساء: الآية ٢٨)، وأيضاً: { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } (سورة النساء: الآية ٢٩)، وأيضاً: { تَلْعَلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }، وأيضاً: { وَلَا تَلْعَلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (سورة البقرة: الآية ١٩٥).

(ب) الحديث النبوي: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس ما يحب لنفسه" (أخرجه أحمد عن أنس بن مالك)، وأيضاً: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمانهم وأموالهم" (أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة وعن فضالة بن عبيد)، وأيضاً: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ" (أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكر)، وأيضاً: "أيا امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" (أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له عن عبد الله بن عمر)

(ج) الإنجيل المقدس: "فَلْتَعَكُفْ إِذَا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلَامِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضَنَا لِبَعْضٍ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الأصحاح ١٤: الآية ١٩).

(د) التوراة المقدسة: "وَلَا تَضْطْهِدِ الْعَرِيبَ وَلَا تَضَايِقْهُ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (سفر الخروج الأصحاح ٢٢: الآية ٢١).

رابعاً: صور سماحة الأديان في الانتماء: كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير: مثل تفويض الدين لله، وتحديد مهمة الأنبياء والرسل وعلماء الدين في التبليغ والتذكير والبيان والنصح، ومنعهم أن يكونوا وكلاء أو أوصياء على الناس، وإلزام المؤمن نفسه لا يضره عدم إيمان غيره؛ فحسبه التبليغ، ويمتنع عن استعداء غيره بتهمة التكفير؛ لأن الكل مؤمن بدينه وإن كان يخالف الآخر، فله الحق أن يوصف بالإيمان بما تدين به، ولو على سبيل الحكاية التي هي من أصول اللغة ومن نصوص الدين {لَكَرُّ دِيكَرُوَلِي دِينِ} (سورة الكافرون: الآية ٦).

ولا يحتج للتكفير ببناء الكافرين في أول السورة؛ لختامها بإقرار دين كل أحد لصاحبه، فعندما يوصف المخالف في الملة بالإيمان فإن المقصود هو إيمانه بدينه وليس بدين المتكلم. وهذا أصل في اللغة العربية يعرف بأسلوب "الحكاية"؛ كما حكى القرآن الكريم عن امرأة فرعون وامرأة أبي لهب، مع أن عقد زواجهما لم يكن بالملة الخاتمة. وبذلك يتصالح الناس على إقرار الإيمان فيما بينهم بدلاً من فتنة التكفير المهلكة.

(ب) السماحة التبادلية في الانتماء المانع من العنف والإرهاب والتكفير: مثل علو مقام الرسل والأنبياء الكرام في انتمائهم الديني، ومع ذلك فقد كانوا مثلاً للتسامح مع النفس ومع الغير، وعاش غير المؤمنين في كنفهم آمنين دون ملاحقة دينية، وما ورد في الأخبار من ملاحقة بعضهم لغير المؤمنين فإنما هي ملاحقة أمنية، وليست ملاحقة دينية.

وإذا ضربنا مثلاً بالرسول الكريم الخاتم فإنه كان يعيش وأصحابه في المدينة المنورة وسط أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان دون فتنة تبادل التكفير أو المناظرات الدينية التي لا تجلب إلا العنف والإرهاب والعداوة. وإنما كان يجب إذا سئل، وبيّن إذا أتيحت له فرصة البيان، فعاشوا في

سلام وازدهار. أما المعروف تاريخياً بالغزوات أو الفتوحات فهي معارك أمنية، وليست دينية كما يتاجر بها المغرضون.

وقد ثبت بالتاريخ فشل جميع الحروب الدينية، وأنها مع ما تخلفه من دمار تشغل العابدين عن مناسكهم، وعموم الناس عن معاشهم بجدليات غيبية لا تنتهي إلا بقهر العقول والفتن طويلة المدى؛ كما كانت تجربة "المأمون" الخليفة العباسي (ت ٢١٨هـ) في تبنيه فكرًا دينيًا على حساب فكر ديني آخر، وإقامة المحاكمات في مسألة "خلق القرآن وقدمه".

وعلى الجانب المقابل وجدنا غير المسلمين عندما انشغلوا بفتن الجدليات الدينية في أوروبا، ثم بالحروب التي تاجرت باسم الصليب في الفترة (١٠٩٦-١٢٩١م) لم يجنوا إلا هلاك الحرث والنسل، ولم ينطلقوا إلى حضارتهم المعاصرة متسارعة التطور صناعيًا وطبيًا وفضائيًا - بداية من الثورة الميكانيكية ثم الإلكترونية ثم الرقمية ثم المعلوماتية ثم الذكاء الاصطناعي والروبوتات، ثم النانو تكنولوجي، فضلًا عن التقدم الطبي والحيوي والفضائي ومعالجة أزمة تغير المناخ، والقادم أعظم - إلا بعد تخلي مجتمعاتهم عن العنف والإرهاب والتكفير.

خامسًا: ثمار سماحة الأديان في الانتماء: كثيرة، ومنها:

التعايش السلمي المتيح للخشوع في العبادة، والدافع لعجلة التنمية والازدهار والإعمار. فضلًا عن الثراء الفكري، واحترام الإنسان، والتنافس في حسن الخلق الرافع لقيمة الشعب بين الشعوب والأمم.

المطلب الرابع: سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة الوطن

أولاً: المقصود من سماحة الأديان في المقاصد: أمران:

الأمر الأول: أن مقاصد الأديان كليات إنسانية عامة، فتعم سماحتها المؤمنين وغيرهم؛ لبنائها على وسائل إنسانية سمحة، فهي لا تتحقق إلا في ظل "حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن". والمعروف كما يقول "الأمدي" (ت ٦٣١هـ) في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام": "إن المقاصد التي لم تخل من رعايتها ملة، ولا شريعة من الشرائع هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال"، ووصفها "الشاطبي" (ت ٧٩٠هـ) بأنها الضروريات الخمس التي لا يستغني عنها أحد، ولكنه عبر عن النسل بالعرض.

الأمر الثاني: أن مقاصد الأديان بفضل سماحتها لا تنحصر في الخمسة المعروفة قديماً، (وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل - أو العرض - والمال)، وإنما تزداد كلما دعت الحاجة، كما

تدعو الحاجة اليوم إلى إضافة "حسن الخلق، والسلام الاجتماعي، ووحدة الوطن وسلامته" إلى مقاصد الأديان؛ إذ لا يمكن وجودها أو استقرارها إلا بذلك.

ثانياً: **الدليل العقلي على سماحة الأديان في المقاصد:** وجهان:

الوجه الأول: أن مقاصد الأديان الخمسة وهي "حفظ الدين والنفس والعقل والنسل - أو العرض - والمال" إذا لم تكن كليات عامة للإنسانية - بحيث تشمل أهل الأديان جميعاً وغيرهم، ولا يكون حفظها حظوة لأهل دين معين على حساب إهدارها عند أهل دين آخر - فإنه يخالف عدالة الأديان المنتسبة إلى الله العدل، كما أنه سيكون سبباً لشرعنة استحلال تلك المقاصد بين الناس؛ لاختلافهم في الأديان ضرورة، مع تدافع كل أحد لحفظ حقه من تلك المقاصد، فلم يكن سوى الإقرار بتعميمها بحسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن وسلامته.

الوجه الثاني: أن مقاصد الأديان لو انحصرت في حفظ الخمسة - "الدين والنفس والعقل والنسل، أو العرض، والمال" - لاتهمت بالقصور والتعنت في حال داعية الحاجة إلى تعظيم مقاصد أخرى، مثل حفظ: "حسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن وسلامته"؛ كما يراه الناس اليوم. فكان إضافة تلك المقاصد المستجدة للخمسة دليلاً على سماحة مقاصد الأديان في عددها وتحديدها.

ثالثاً: **الدليل النصي على سماحة الأديان في المقاصد:** متعدد، ومنه:

(أ) القرآن الكريم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (سورة الحجرات: الآية ١٣)، وأيضاً: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } (سورة سبأ: الآيتان ٢٤-٢٦)، وأيضاً: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ } (سورة الأحزاب: الآية ٧٢).

(ب) الحديث النبوي: "الا من ظلم معاهدا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقتيه أو أخذ منه شيئاً بغير طيبٍ نفيس فأنا حجيجه يوم القيامة" (أخرجه أبو داود عن عدد من الصحابة)، وأيضاً: "أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً المؤمنون أكفأ الذين يألون ويؤلفون، وليس منا من لا يأل ولا يؤلف" (أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري). المؤمنون من

التوطئة وهي التمهيد، والأكناف الجوانب، بمعنى أن جوانبهم وطبئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى.

(ج) الإنجيل المقدس: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ." (إنجيل متى الأصحاح ٧: الآية ١٢).

(د) التوراة المقدسة: "حِذِّ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلَامَةَ، وَاصْنَعِ وَرَاءَهَا" (سفر المزامير الأصحاح ٣٤: الآية ١٤).

رابعًا: صور سماحة الأديان في المقاصد: كثيرة، نذكر منها صورتين:

(أ) السماحة الذاتية في مقاصد الأديان: بمعنى أن المقاصد التي لاحظها فقهاء الأديان - وهي حفظ "الدين والنفس والعقل والنسل - أو العرض - والمال"، وغيرها - سمحة في ذاتها، فالتكليف بها على قدر الاستطاعة. وترتيبها عند التعارض يرجع لصاحب الشأن بسلطته التقديرية فليس أحدها أولى بالتقديم على الآخر إلزامًا؛ لأنها مقاصد كلية، وليست مقصدًا واحدًا مع فروعه.

(ب) السماحة التبادلية في مقاصد الأديان: بمعنى أن المقاصد التي استقر عليها فقهاء الأديان تبادلية، فما يثبت منها لأهل دين فإنما يثبت مثله لغيرهم؛ لأنها مقاصد مقررّة للنفس على الغير، فكان من حق الغير وفقًا لمبدأ العدالة الفطري "المعاملة بالمثل".

خامسًا: ثمار سماحة الأديان في المقاصد بحسن الخلق والسلام الاجتماعي ووحدة الوطن: كثيرة، ومنها: احترام الأديان جميعًا لمقاصدها الموحدة وإن اختلفت في الشرائع التعبدية، وكذلك نشر ثقافة العدالة الدينية بدلًا من ثقافة الاستعلاء الديني، وأيضًا إمكان إضافة مقاصد كلية للأديان كلما دعت الحاجة؛ لأن وضعها قائم على الملاحظة الفقهية، وليس بنص تعبدية.

المبحث الثالث

آداب الحوار مع الآخر

المقصود بآداب الحوار مع الآخر هو اتخاذ حسن الأخلاق ومكارمها - أي الأحسن منها - منهجاً في مخاطبة الغير، وهذه الآداب متحركة دائماً نحو الأفضل بحكم الفطرة الإنسانية والاتساع المتنامي للثقافة والمعرفة؛ حتى إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت سنة ٢٠٠١م عقد احتفالية سنوية يوم ٢١ مايو باسم "اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية"، وكان هذا بسبب تدمير "طالبان" لتمثالي "بوذا" في "وادي باميان" بأفغانستان في شهر مارس ٢٠٠١م.

ويمكن إجمال أشهر آداب الحوار مع الآخر في الاعتراف أولاً بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف، ثم التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك، والاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري، بالإضافة إلى الإصغاء واحترام الحريات العامة، وضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب، والأعظم هو الانتهاء كالاتداء بالأليق من محاسن الأخلاق. وسوف نوضح تلك الآداب بتعريف كل واحدة منها، وبيان الحاجة إليها، وثمرتها على الحضارة الإنسانية، وذلك في المطالب السبعة التالية.

المطلب الأول: الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف

أولاً: المقصود بأدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": الإقرار للآخر بأخوته - بمعنى التضامن والمحبة - الإنسانية، وكذلك التسليم له بحق الاختلاف في الرأي والعقيدة. وهذا الإقرار بمثابة عربون لحوار مثمر.

والأخوة الإنسانية ليست منةً من أحد على أحد، وإنما هي واقع كوني أو فطري مبني على وحدة الأصل لكل البشر دون أي تمييز بالدين أو اللغة أو اللون أو العرق أو الجنس.

ويمكن القول إن الأخوة الإنسانية عقد اجتماعي غير مكتوب لا ينكره إلا جاحد. ويقوم هذا العقد على المساواة للجميع في الحقوق والواجبات والحريات، ويعتمد في التعامل على الرفق والتراحم والمحبة، ويرفض الأعمال التي تدعو إلى الكراهية أو إضعاف روح التسامح واحترام التنوع والاختلاف.

ثانياً: الحاجة إلى أدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": الارتقاء إلى "الإنسانية الرشيدة" التي تحترم أفرادها، وتستثمر جهودهم وتنوعهم، وتدعوهم إلى التفاهم المتبادل دوماً، وترى أن التعددية الثقافية والدينية واللغوية عوامل تعزيز للأخوة الإنسانية.

ولأهمية "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف" في مستقبل الإنسانية الرشيدة فقد ورد التأكيد على مقاصدها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة "أسبوع الوثام العالمي بين الأديان" سنة ٢٠١٠م، كما اعتمدت الأمم المتحدة يوم الرابع من فبراير يوماً احتفالياً كل عام باسم "اليوم العالمي للأخوة الإنسانية" سنة ٢٠٢١م، وذلك بمبادرة تقدمت بها كل من الإمارات والسعودية ومصر؛ بهدف تعزيز الأخوة الإنسانية وتقوية الجمهور بحقها.

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ٥٣) على أن: "المواطنین لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة لا تمييز بينهم بسبب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الأصل أو العرق أو اللون أو اللغة أو الإعاقة أو المستوى الاجتماعي أو الانتماء السياسي أو الجغرافي، أو لأي سبب آخر. كما تنص المادة (٦٤) على أن: "حرية العقيدة مطلقة".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م في "أبو ظبي" ما يلي:
"إن التعددية والاختلاف في الدين واللون والجنس والعرق واللغة حكمة لمشيئة إلهية قد خلق الله البشر عليها، وجعلها أصلاً ثابتاً تضرع عنه حقوق حرية الاعتقاد وحرية الاختلاف، وتجرم إكراه الناس على دين بعينه أو ثقافة محددة أو فرض أسلوب حضاري لا يقبله الآخر".

ثالثاً: ثمار أدب "الاعتراف بالأخوة الإنسانية وحق الاختلاف": منها تعزيز احترام حقوق الإنسان، وثقافة السلام واللاعنف، واستثمار التنوع والاختلاف لصالح الإنسانية الرشيدة؛ فضلاً عن كونه مؤشراً لنجاح الحوار في مهمته.

المطلب الثاني: التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك:

أولاً: المقصود بأدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": أن يكون منطلق الحوار وأساسه مبنياً على قاعدة مشتركة تتمسك بالسلام والعيش المشترك؛ لأن أي حوار أو لقاء لا يتأسس على ذلك فهو عبث ومضيعة للوقت والجهد.

وثقافة السلام هي حزمة من المعاني النبيلة، والمواقف الأصيلة، والسلوك المستقر المستدام على حرمة الحياة وعصمتها، وتعزيز حقوق الإنسان وواجباته وحرياته، وتسوية نزاعاته بالطرق السلمية؛ ليتفرغ للعيش المشترك، والدفع بالتنمية للأجيال الحاضرة والقادمة.

ثانياً: الحاجة إلى أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": السعي إلى "الإنسانية الآمنة" التي هي أساس الوجود والبقاء والاستخلاف في الأرض بالإعمار والتنمية، والقيام بالشعائر الدينية التي اعتقدها صاحبها.

ونظراً لأهمية الحاجة إلى أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك" فقد جاء التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، وثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاحتفال لأول مرة باسم "اليوم العالمي للسلام" يوم ١٦ سبتمبر ١٩٨٢م تزامناً مع موعد الجلسة الافتتاحية لدورة الجمعية العامة، ثم قررت تعيين يوم ٢١ سبتمبر من كل عام للاحتفال بالسلام وتعزيزه بين جميع الأمم والشعوب، والامتناع عن العنف، ولزوم وقف إطلاق النار؛ وذلك بهدف نشر الوعي للناس بقضايا السلام والعيش المشترك، وترسيخ المثل العليا للسلام بين جميع الشعوب والأمم وداخل كل منها.

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ٥٤) على أن: "الحرية الشخصية حق طبيعي، وهي مصنونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس لا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد إلا بأمر قضائي"، كما تنص المادة (٥٩) على أن: "الحياة الآمنة حق لكل إنسان، وتلتزم الدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها ولكل مقيم على أراضيها".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م: "القناعة الراسخة بأن التعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى التمسك بقيم السلام، وإعلاء قيم التعارف المتبادل والأخوة الإنسانية، والعيش المشترك".

ثالثاً: ثمار أدب "التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك": منها تأمين سلامة سير الحوار، وتوفير الجهد والمال للتنمية المستدامة، والنهوض بالحقوق والحريات، وتعزيز التعاون العلمي والتقني، بالإضافة إلى وقف الأعمال العدائية لحماية الأرواح والإنجازات الحضارية.

المطلب الثالث: الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري:

أولاً: المقصود بأدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": التفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة، والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية. والتبادل الحضاري لا يقف عند الانتقال من ثقافة إلى أخرى، ولكنه يقوم أيضاً بدمج الثقافات المختلفة لإيجاد معطيات ثقافية جديدة أو متولدة.

والثقافة في اللغة العربية تطلق على الحذق والتمكين. تقول ثقّف الرجل، أي صار حاذقاً فطناً ماهراً متعلماً متمكناً. والثقافة عند علماء الاجتماع و"الأنثروبولوجيا" (علم الإنسان): "المركب الشامل الذي يضم المعارف البشرية بما في ذلك العقيدة والأخلاق والقوانين، وكل ما يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه".

والحضارة في اللغة العربية خلاف البداوة. أما الحضارة عند علماء الاجتماع و"الأنثروبولوجيا" فهي: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي".

ثانياً: الحاجة إلى أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": تأسس حضارة "الإنسانية المتفاهمة" التي تقوم على أرضية مشتركة للتفاهم بالتبادل الثقافي والحضاري.

وكان أول من تكلم عن حوار الحضارات هو المفكر الفرنسي روجيه جارودي (١٩١٣-٢٠١٢م). ولأهمية الحاجة إلى أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري" فقد جاء التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة، والدستور المصري، ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان سنة ٢٠٠١م "سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات" - كما تم في السنة نفسها الاحتفال يوم ٢١ مايو - ويكون احتفالاً سنوياً باسم "اليوم العالمي للتنوع الثقافي لأجل الحوار والتنمية"؛ لمساعدة المجتمعات على فهم قيمة التنوع الثقافي وكيفية التعايش السلمي، وفي ذات السنة نفسها تأسست "المنظمة العالمية لحوار الأديان والحضارات في العالم" بهدف نشر ثقافة الحوار والتسامح بين مختلف الأديان والمذاهب، ثم قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعيين سنة ٢٠١٠م "سنة دولية للتقارب بين الثقافات".

(ب) ينص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م (مادة: ١٩) على أن: "التعليم حق لكل مواطن. هدفه بناء الشخصية المصرية والحفاظ على الهوية الوطنية وتأسيس المنهج العلمي في التفكير وتنمية المواهب وتشجيع الابتكار وترسيخ القيم الحضارية والروحية". كما تنص المادة (٤٨) على أن: "الثقافة حق لكل مواطن، تكفله الدولة وتلتزم بدعمه وبإتاحة المواد الثقافية لجميع أنواعها لمختلف فئات الشعب دون تمييز بسبب القدرة المالية أو الموقع الجغرافي أو غير ذلك".

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م: "إن الحوار والتفاهم ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس من شأنه أن يسهم في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية".

ثالثاً: ثمار أدب "الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري": منها: فتح باب التلاقي في الحوار، وتجنب الصراعات، وإرساء منهج راسخ للتعاون الثقافي الإنساني، والارتقاء من التبادل الحضاري إلى التحالف الحضاري، وقد يبلغ إلى الاندماج الحضاري. هذا بالإضافة إلى احترام التنوع الثقافي والحضاري الخلاق.

المطلب الرابع: الإصغاء واحترام الحريات العامة:

أولاً: المقصود بأدب "الإصغاء واحترام الحريات العامة": الاستماع الحسن للمتكلم دون مقاطعة، واحترام حرياته العامة المكفولة لكل أحد كالحياة والسلامة والكرامة والفكر والوجدان والدين والرأي والتعبير، وذلك دون ازدراء أو انتقاص.

وتثبت هذه الحريات العامة بالفطرة الكونية السليمة لكل إنسان، ومن عجيب اللغة العربية أن لفظ "إنسان" اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى والمفرد والجمع، وهذا لتأكيد المساواة بين البشر في الحقوق والحريات العامة.

ثانياً: الحاجة إلى أدب "الإصغاء واحترام الحريات العامة": حماية "الإنسانية المكرمة" التي تتكاثم فيما بينها بحسن الاستماع إلى الآخر، واحترام حرياته العامة.

ولأهمية تلك الحريات العامة، ومنع انتهاكها، فقد ورد التأكيد عليها في قرارات الأمم المتحدة والدستور المصري وإعلان منظمة التعاون الإسلامي لحقوق الإنسان، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتماد "إعلان مبادئ حقوق الإنسان" في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم، وهو يتكون من ثلاثين مادة نكتفي بذكر بعض ما يرتبط بالحوار بشكل مباشر، ومنه: "لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين" (مادة: ١٨)، "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل" (مادة: ١٩).

(ب) خصص الدستور المصري الصادر عام ٢٠١٤م الباب الثالث للحقوق والحريات والواجبات العامة، ومما جاء فيه: "الكرامة حق لكل إنسان ولا يجوز المساس بها" (مادة: ٥١)، "حرية الاعتقاد مطلقة" (مادة: ٦٤)، "حرية الفكر والرأي مكفولة" (مادة: ٦٥)، "الحقوق والحريات اللصيفة بشخص المواطن لا تقبل تعطيلاً ولا انتقاصاً" (مادة: ٩٢)، "تلتزم الدولة بالاتفاقيات والعهود والمواثيق الدولية لحقوق

الإنسان التي تصدق عليها مصر وتصبح لها قوة القانون بعد نشرها وفقاً للأوضاع المقررة" (مادة: ٩٣).

(ج) ينص إعلان منظمة التعاون الإسلامي لحقوق الإنسان سنة ٢٠٢٠م على أن: "المساواة في الحقوق بين البشر بدون تمييز" (مادة: ١)، "حرية الفكر والوجدان والدين" (مادة: ١٨)، "حرية الرأي والتعبير" (مادة: ١٩).

ثالثاً: ثمار أدب "الإصغاء واحترام الحريات": منها تمكين التفاهم بين البشر المتحاورين، وإمكان تلاقيهم وتعاونهم بل وتسامحهم في الحقوق بينهم، بالإضافة إلى العيش في سلام بدون عنف أو صدام.

المطلب الخامس: ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب:

أولاً: المقصود بخلق "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": الالتزام بالصبر والأناة مهما كان الآخر مثيراً، والامتناع نهائياً عن أي خيانة أو تهديد أو إرهاب في كل حال. ويساعد على تحقيق ضبط النفس التركيز دائماً على الهدف وراء كل صعوبة بدلاً من التركيز على الطريق أو الأسلوب. كما يساعد على تحقيق نبذ الخيانة احترام الذات ومراقبتها والتحسب لعواقب الأمور. ويساعد على نبذ التهديد والإرهاب الحلم الدائم بالمكاسب الآمنة والمستقرة التي تؤخذ باللين والود، وليس بالمكاسب الخطرة المهددة التي تؤخذ بالعنف والكرهية.

ثانياً: الحاجة إلى أدب "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": إزكاء "الإنسانية المؤتمنة"، وهي التي يؤتمن جانبها من الغضب والغدر والعنف والإرهاب. ذلك أن إنماء تلك الإنسانية سيسرع الخطى نحو السلام الاجتماعي والعيش المشترك والتنمية المستدامة.

ولأهمية الحاجة إلى "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب" فقد ورد التأكيد على نبذ الإرهاب ومكافحته - بصفته عنواناً لكل نقيصة - في قرارات الأمم المتحدة والدستور المصري ووثيقة الأخوة الإنسانية، كما نوضحه فيما يلي:

(أ) قرر مجلس الأمن في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١م عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بهدف عرقلة الجماعات الإرهابية بشتى الطرق: إلزام جميع الدول الأعضاء باعتبار الأعمال الإرهابية جرائم جنائية خطيرة في القوانين واللوائح المحلية، كما أنشأ القرار "لجنة مكافحة الإرهاب" لمراقبة التزام الدول بأحكامه. ويؤخذ على هذا القرار عدم تعريف الإرهاب وجماعته. وفي سنة ٢٠٠٦م اعتمدت

الجمعية العامة للأمم المتحدة "إستراتيجية مكافحة الإرهاب" باعتباره واحدًا من أشد الأخطار التي تهدد السلام والأمن الدوليين.

(ب) خصص الدستور المصري الصادر ٢٠١٤م إحدى مواد الانتقالية لمواجهة الإرهاب؛ فتنص المادة (٢٣٧) على أن: "تلتزم الدولة بمواجهة الإرهاب، بكافة صورته وأشكاله، وتعقب مصادر تمويله، وفق برنامج زمني محدد، باعتباره تهديدًا للوطن وللمواطنين، مع ضمان الحقوق والحريات العامة"

(ج) جاء في بيان "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام والعيش المشترك" الذي وقعه بابا الكنيسة الكاثوليكية والإمام الأكبر شيخ الأزهر في ٤ فبراير ٢٠١٩م في "أبو ظبي" ما يلي: "إن الإرهاب البغيض الذي يهدد أمن الناس سواء الشرق أو الغرب وفي الشمال والجنوب، ويلحقهم بالفزع، والرعب، وترقب الأسوأ ليس نتاجًا للدين، حتى وإن رفع الإرهابيون لافتاتِهِ ولبسوا شاراته، بل هو نتيجة لتراكمات الفهوم الخاطئة لنصوص الأديان، وسياسات الجوع، والفقر، والظلم، والبطش، والتعالي".

ثالثًا: ثمار أدب "ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب": منها تحقيق أفضل استجابة وردة فعل ممكنة في الحوار، وتهيئة القدرة على التفكير المتوازن الحكيم. هذا بالإضافة إلى تحقيق الأمن والسلام في ربوع العالم من أجل التنمية المستدامة والازدهار.

المطلب السادس: الانتهاك كالبداية بالأليق من محاسن الأخلاق:

أولاً: المقصود بأدب "الانتهاك كالبداية بالأليق من محاسن الأخلاق": حسن الخواص دائمًا، وخاصة مع كل بداية كانت مسالمة أو طيبة أو جميلة فإنه - بحكم الأدب والأصول - يجب أن تنتهي بالأسلم والأطيب والأجمل. فإذا حالت الأوضاع دون ذلك فالحد الأدنى هو الانتهاك بالأليق من محاسن الأخلاق التي هي أسمى بإنسانيتها من كل اختلاف؛ رجاء جولات أخرى يكون فيها الوفاق والتراضي والتسامح؛ فحسن الخلق لا يعرف انقطاع الأمل وإن طال انتظاره، ويعلم أن الزمن جزء من الحل.

ثانيًا: الحاجة إلى أدب "الانتهاك كالبداية بالأليق من محاسن الأخلاق": صيانة "الإنسانية النبيلة" التي تغير على إنسانيتها، وتحترم آدميتها بالالتزام بالأليق من محاسن الأخلاق ومكارمها في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، وفي الغضب والرضا.

ولأهمية الحاجة إلى "أدب الانتهاك كالبداية بالأليق من محاسن الأخلاق" فإنه لم يخل دين من النص على فضل حسن الخلق في كل شيء، كما توجهت الحضارة المعاصرة إلى تنافس الجامعات، والمراكز البحثية، والنقابات، وأرباب المهن المختلفة إلى وضع موائيق أخلاقية تكفل للمهنة شرفها، ولأهل المهنة

كرامتهم. هذا بالإضافة إلى تخليد الشعراء الحكماء التجارب التاريخية في فضل محاسن الأخلاق على قيمة صاحبها بين الناس، وعلى بقاء الأمم والممالك، ونوضح ذلك فيما يلي:

(أ) فضل محاسن الأخلاق لقيمة صاحبها في شعر الحكماء:

يقول أبو الفتح البستي (نسبة إلى بست الأفغانية ٩٤٢-١٠١٠م):

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وإن أساء مسيء فليكن لك في
عروض زلتة صفح وغفران
وقال أيضاً:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وقال أبو العلاء المعري (نسبة إلى معرة النعمان بمحافظة إدلب السورية ٩٧٣-١٠٥٧م):

أسرُّ إن كنت محموداً على خلق
ولا أسرُّ بأني الملك محمود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها
وإنما هو بعد الموت جُمود

ويقول صفي الدين الحلي، البغدادي (١٢٧٧-١٣٤٩م):

إذا عَدِمَ الفتي خلقاً جميلاً
يسود به، فلا خلق الجمال

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي، المصري القاهري (١٨٦٨-١٩٣٢م):

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

(ب) فضل محاسن الأخلاق لبقاء الأمم في شعر الحكماء:

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي، المصري القاهري (١٨٦٨-١٩٣٢م):

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضاً:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

ثالثاً: ثمار أدب "الانتهاء كالابتداء بالأليق من محاسن الأخلاق": نبيل الأخلاق بين البشر المتحاورين، ونشر ثقافة التسامح وأخلاق الصبر والحلم، واكتساب المعارف والأصدقاء، وتجفيف منابع التشاحن والتباغض، بالإضافة إلى السلام الاجتماعي والرقى الحضاري.

الخاتمة

الشخصية المصرية بين المرض والتعافي
في التسامح الديني

تنتم الشخصية المصرية منذ فجر التاريخ بالفطرة الإنسانية النقية التي فطر الله الناس عليها؛ مختلفين في أجناسهم، وألوانهم، وألسنتهم، وأرزاقهم، وعقولهم، وعلومهم، وعقائدهم، وأحلامهم وآلامهم؛ فاتخذت من هذا الاختلاف تمايزاً، يثريها في بناء شخصيتها الموحدة والمستوعبة بالسماحة وقبول الآخر.

وقد زاد اصطفاغ الشخصية المصرية وحدة وقوة، حبها لدين الله سبحانه بمراحله الزمنية المعروفة، وكتبه المقدسة المختلفة في لغاتها وشرائعها، والمصدق اللاحق منها السابق، ورسله الكرام المبلغين عن ربهم والمباركين بأقدامهم أرض مصر الطيبة؛ ليضرب بأهلها المثل في شخصيتهم الموحدة والمستوعبة للجميع بالتسامح، وقبول الآخر، وحسن الظن في اختلاف أديانهم المفوضين أمره الله.

وهكذا كانت الشخصية المصرية العظيمة لحمة واحدة، وقوة متينة باستيعابها لحضارات المستعمرين وثقافتهم المختلفة؛ حتى ظهرت باستقلاليتها، واستردت سيادتها بالاصطفاغ الوطني الجميل الذي لا يعرف عصبية في طائفية أو مذهبية أو جنس.

وما أن بدأت مصر في تجديد حضارتها العريقة حتى ابتليت في أوائل القرن العشرين بخطاب ديني دخيل على ثقافتها المستوعبة للاختلافات. خطاب استعدائي وتكفيري للآخر، خطاب استعلائي يدعو إلى عصبية الطائفية والمذهبية والتفرقة بالجنس، ويدعي تفويضه من الله للحكم على الناس في السياسة والاقتصاد وجميع أمور المعيشة، فيما يعرف بالإسلام السياسي الذي تزعمته جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها؛ لتتمكن من الاستيلاء على السلطة واستعباد الناس باسم الدين.

وقد اتبعت جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها من جماعات الإسلام السياسي - في سبيل السيطرة على الحكم - سياستي الترغيب والترهيب.

أما الترغيب فلمن يسهل تجنيده لهم بأكذوبة منحه لقب: "الأخ المسلم أو الأخت المسلمة"، و"شرف الجهاد في سبيل الله"؛ وذلك من أجل سبيل حاكميتهم، وإقامة خلافتهم التي وصفوها بالإسلامية.

وأما الترهب فلمن يستعصي تطويعه لمشروع سيطرتهم على الحكم بالتكفير والإرهاب والفتن والاعتقال والحرق والتفجير؛ كما اغتالوا من قبل رئيس مجلس الوزراء الأسبق "محمود فهمي النقراشي"

في ديسمبر ١٩٤٨م؛ لاكتشاف حكومته تنظيمهم السري المسلح وتقديمه للقضاء مع حل جماعتهم، وحظر نشاطها.

وقد شاهد المصريون مؤخرًا إرهاب تلك الجماعة وغررها إثر أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م في ميادين التحرير ورابعة والنهضة والاتحادية، وفي عمليات اقتحام السجون، وحرق أقسام الشرطة، ونهب أسلحتها، وتفجير المنشآت والكنائس، ومذابح رفح الأولى والثانية وبورسعيد وكرداسة، والإغارة على المرتكزات الأمنية؛ لملاحقة رجال الجيش والشرطة في سيناء وسائر أنحاء الجمهورية.

وكان من إرهابهم الخسيس اغتيال النائب العام المستشار "هشام بركات" في يونيو ٢٠١٥م؛ بسبب إحالته قياداتهم إلى المحاكمة؛ لتورطهم في جرائم قتل داخل اعتصامي رابعة والنهضة للمتاجرة بهم، وقتل في رجال الجيش والشرطة أثناء فض هذين الاعتصامين.

ولن ينس المصريون إشعال جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها للفوضى بالفتن ضد السنة، باقتحام مساجد الفتح والنور ورابعة، واتخاذها قواعد عسكرية مدججة بالسلاح ضد مخالفهم، وقتل عشرات الأبرياء والمتاجرة بهم. والفتنة ضد الشيعة وقتل بعض أفرادها بوحشية بتهمة التشيع. والفتنة ضد المتصوفة والتحريض عليهم بتهمة الابتداع والشركيات؛ حتى كانت مذبحه مسجد الروضة البشعة بقتل المئات من المصلين، وهم يؤدون صلاة الجمعة. والفتنة ضد المسيحيين بالخطاب التحريضي ضدهم، بتهمة رفضهم للحكم الإخواني؛ فتم حرق وتفجير عشرات الكنائس والمنشآت والمنازل القبطية، وسقوط مئات الضحايا الأبرياء.

صبر المصريون على جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها مدة تسع وعشرين شهرًا؛ لعلمهم يرشدون دون جدوى إلا تماديهم في الغي. من تلك المدة سبعة عشر شهرًا زاحموا فيها المجلس العسكري في إدارته التي تولاه في الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م بإرهابهم وعنفهم وفتنتهم التي تسببت في الانقسامات الشعبية، وهجرة البعض بحثًا عن الأمان، والنيل من القوات المسلحة والشرطة المدنية؛ حتى تمكنوا من الانفراد بالحكم في ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، فاستمروا في إرهابهم، وعنفهم، وفتنتهم؛ لفرص تمكين جماعتهم الإرهابية من مفاصل الدولة، كما منحوا مرتزقتهم الجنسية المصرية؛ لإنشاء جيش مواز، يهدم الانتماء للهوية المصرية.

من هنا يتقن الشعب - بعد أن نفذ صبره في تحمل التجريف والتخريب والدمار والفتن والانقسامات - أنه ليس في بال جماعة الإخوان الإرهابية إلا أن يكون وقودًا لها، وأن الدين ليس مقصودًا

إلا في دعمها السياسي، فما قدمت تلك الجماعة الإرهابية ومواليها للدين شيئاً إلا النقيصة في حقه وحق أهله، كفتاوى زواج الأطفال، والتمييز ضد المرأة وغير المسلم، والاستعلاء بالشكلية الدينية كاللحية والنقاب، وتضليل الشباب وإضاعة حياتهم أو مستقبلهم الدراسي أو الوظيفي؛ لتجنيدهم في عملياتهم الانتحارية والبلطجية والاحتجاجية والتظاهرية وصناعة الإشاعات وترويجها؛ بزعم حماية الدين. كما تيقن الشعب أن مشروعهم الحقيقي هو الاستيلاء على السلطة من أجل السلطة، بشعارهم الإرهابي: "تحكمكم أو نقتلكم"؛ لإعادة مصر ولاية من ولايات الخلافة التي يحلمون بها للسيطرة على العالم.

وبعد أن ظهرت خيانة جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها للدين وللوطن على السواء، انتفضت الشخصية المصرية العظيمة والعريقة في تاريخها وحضارتها وثقافتها وتسامحها الديني؛ لتستعيد وحدتها وقوتها بمنهج الاستيعاب والتسامح الذي تتميز به الهوية المصرية منذ الأزل، فقام المصريون بأكبر ثورة شعبية سلمية في تاريخهم الطويل يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣م؛ إذ بلغ عدد الثائرين أكثر من ٣٠ مليون مصري ومصرية، يستتصرون - بعد الله تعالى - بجيشهم الوطني الأصيل أن يُعيد لهم وطنهم من مختطفيه، وكان لهم ذلك بكل لطف وهدوء وتوفيق في اليوم الثالث من يوليو ٢٠١٣م، ولكن على حساب استهداف أبناء الجيش والشرطة البررة من التنظيم السري المسلح لجماعة الإخوان الإرهابية وذئابها الشاردة المسعورة.

استقوى الشعب - بعد الله عز وجل - بقضائه الشامخ أن يحميه من إرهابهم؛ وذلك بعد أن تقدم بعض المواطنين الشرفاء برفع الدعوى رقم ٢٣١٥ لسنة ٢٠١٣م أمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة مشفوعة بمستندات خيانة جماعة الإخوان وتمويلها الخارجي واتخاذها للإسلام ستاراً لفرض سيطرتها في المجتمع؛ مطالباً بحظر نشاطها. فكان الحكم القضائي التاريخي - بعد حيثياته الموثقة - قاضياً بحظر أنشطة تنظيم جماعة الإخوان المسلمين بجمهورية مصر العربية، والتحفظ على جميع أموالها في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣م. ثم تقدم بعض الشرفاء برفع الدعوى رقم ٣٣٤٣ لسنة ٢٠١٣م أمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة، مشفوعة بالسيرة الدموية لجماعة الإخوان المحظورة؛ مطالباً باعتبارها منظمة إرهابية، فكان منطوق الحكم القضائي - بعد حيثياته الموثقة - هو: "اعتبار جماعة الإخوان المسلمين المحظورة منظمة إرهابية" في ٢٤ فبراير ٢٠١٤م. ثم صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٥٧٩ في ٨ أبريل ٢٠١٤م تنفيذاً لهذا الحكم مقررًا: "توقيع العقوبات المقررة قانوناً لجريمة الإرهاب على كل من يشترك في نشاط الجماعة أو التنظيم، أو يروج لها بالقول أو الكتابة أو بأي طريقة أخرى، وكل من يمول أنشطتها".

وبدأت مسؤولية الشعب أمام نفسه - بعد أن استرد حكمه المختطف، وتحصن بالقانون من مجرميه وإرهابيه - في حماية مكتسبات ثورته التي دفع ثمنها غالباً من دم شهداء جيشه وشرطته ومدنييه، ومصابيهم؛ فضلاً عن الخراب والدمار الذي أصاب أكثر منشآته ومؤسساته ومقدراته.

وكان على الشعب - بصفة عاجلة، وبمنظومة مستمرة؛ لكي يتعافى من المرض الذي أصاب هويته بحكم جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها، ولكي يكتسب مناعة ضد أفكارها الهدامة - أن يقوم بما يلي:

(١) تصحيح الخطاب الديني بمنع المتاجرة فيه، مع إعلاء قيمة التواضع والتسامح وآداب الحوار مع الآخر.

(٢) وحدة الشخصية المصرية في نسيج وطني واحد بدون عصبية طائفية أو عرقية أو جنسية.

(٣) تقوية الهوية المصرية؛ لمواجهة التطرف الفكري للتنظيمات والتيارات الدينية.

(٤) نشر الوعي الصحيح؛ لمواجهة التزييف المغرض للفوضى والإرهاب.

(٥) مساندة القوات المسلحة درع الأمان للوطن وأهله، والشرطة المدنية سند الأمان للمواطنين ومصالحهم.

أسئلة الفصل الرابع: سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

م	السؤال	الإجابة
١	يساهم بيان سماحة الأديان في إضاعتها، وفي كراهية التدين وانتشار العنف والإرهاب.	X ✓
٢	التدين الصحيح لا يعزل صاحبه عن واقع الدنيا، ويكفيه بسلامة قلبه وطمأنينة نفسه لم يضر.	X ✓
٣	التدين صورة من صور فقه الدين، وليس بالضرورة أن تكون هي صورة الدين الحق الأوحد.	X ✓
٤	الناس في عقائدها تجاه ربها غير معذرة لمجرد حسن ظنها فيه، وإن سلمت ألسنتهم وأيديهم.	X ✓
٥	التسامح والحوار بالأحسن خلقاً إضاعة للدين ودليل على ضعفه.	X ✓
٦	تدل النصوص الدينية على تعميم السماحة للمخالفين المسالمين، وتأثيرها في فتح أبواب الرزق في الدنيا، والنجاة في الآخرة.	X ✓
٧	معيار إسلام الوجه لله - المكفول لكل أحد - هو تخوين القلب السليم واتهام النفس المظمتة فيما بين المخلوق وخالقه.	X ✓
٨	العدالة الدينية - التي تجعل المكلفين سواسية في اختيار معتقداتهم دون ضرر أو إضرار - دعوة إلى إضاعة الدين.	X ✓
٩	يساهم الأدب بحسن الخلق ومكارمه في التعايش السلمي والتغلب على عصبية الطائفية والمذهبية.	X ✓
١٠	الأنبياء والرسل مثل عليا في الآداب العامة، ولا يصدق في حقهم ما يخالفها من مرويات.	X ✓
١١	يهدف الحوار إلى نتيجة محايدة تظهرها الحجج المتبادلة.	X ✓
١٢	يقوم الجدل على المحايدة بحثاً عن نتيجة تظهرها الحجج المتبادلة.	X ✓
١٣	يفيد الحوار في تنمية الفكر، والتخلص من الأفكار المغلوطة.	X ✓
١٤	الناس متغاïرون خلقة، ومحاولة توحيدهم في الدين وفقهه أضغاث أحلام؛ فلكل إنسان بصمته الدينية.	X ✓

م	السؤال	الإجابة
١٥	يترتب على سماحة الأديان في المعاملات اختصاصها بأهل الملة، فلا تسامح بين مختلفي الأديان.	X ✓
١٦	يترتب على سماحة الأديان في الاجتماعيات استحقاق الإنسانيات كالمشاركة في الأفراح والأفراح بين مختلفي الأديان.	X ✓
١٧	يترتب على سماحة الأديان في الانتماء الديني الامتناع عن العدوان بالعنف والإرهاب والتكفير للآخر.	X ✓
١٨	يترتب على سماحة الأديان في الانتماء الديني اختصاص بني الملة والمذهب بها، واستحقاق المخالف العداوة والعنف والإرهاب والتكفير.	X ✓
١٩	التمسك بثقافة السلام والعيش المشترك في الحوار دليل على الضعف الذي لا يليق بقوة الدين وعزته.	X ✓
٢٠	الاستفادة من الثقافات والتبادل الحضاري في الحوار من سماحة الأديان، ودليل على عظمتها وواقعيته.	X ✓
٢١	الإصغاء واحترام الحريات العامة في الحوار مع الآخر نوع من التقريب في الأديان، ودليل على ضعفها وخضوعها.	X ✓
٢٢	ضبط النفس ونبذ الخيانة والتهديد والإرهاب في الحوار مع الآخر من سماحة الأديان، ودليل على أمانتها وعدالتها.	X ✓
٢٣	انتهاء الحوار بالأليق من محاسن الأخلاق أمر يتعارض مع مقاصد الأديان وسماحتها.	X ✓
٢٤	الشخصية المصرية منقسمة بالأديان، وتعيش في حروب طائفية.	X ✓
٢٥	ابتليت مصر في أوائل القرن العشرين بخطاب ديني استعدائي وتكفيري دخيل على ثقافتها المستوعبة للاختلافات تزعمته جماعة الإخوان الإرهابية ومواليها.	X ✓

إجابة أسئلة الفصل الرابع: سماحة الأديان وآداب الحوار مع الآخر

رقم السؤال	الإجابة
١	خطأ
٢	صح
٣	صح
٤	خطأ
٥	خطأ
٦	صح
٧	خطأ
٨	خطأ
٩	صح
١٠	صح
١١	صح
١٢	خطأ
١٣	صح
١٤	صح
١٥	خطأ
١٦	صح
١٧	صح
١٨	خطأ
١٩	خطأ
٢٠	صح
٢١	خطأ
٢٢	صح
٢٣	خطأ
٢٤	خطأ
٢٥	صح